

مجمع الأمثال

2187 - أَصَبُّ مِنْ الْمُتَمَنِّيةِ .

هذا مثل من أمثال أهل المدينة سار في صدر الإسلام والتمنية : امرأة مَدَنِيَّة [ص 415] عَشِقت فتىً من بني سُلَيم يقال له : نَمْر بن حَجَّاج وكان أَحْسَنَ أهل زمانه مَوْرَةً فَضَلَّيَتَ من حبه ودَنَفَتَ من الوَجْدِ به ثم لَهَجَتْ بذكره حتى صار ذكره هَجَّيرَاهَا فمرَّ عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه ذات ليلة بباب دارها فسمعها تقول رافعةً عَقِيرَتَهَا : .

ألا سَبِيلَ إلى خَمْرِ فَأَشْرَبَهَا ... أم لا سَبِيلَ إلى نَمْر بن حَجَّاج .
فقال عمر رضي الله عنه : مَنْ هذه التمنية ؟ فعرف خَبَرَهَا فلما أصبح استحضر الفتى المتمنَّى فلما رآه بهَرَّه جماله فقال له : أنت الذي تتمناكَ الغانياتُ في خدورهن ؟ لا أمُّ لك أما والله لأزِلَنَّ عَنْكَ رِداءَ الجمال ثم دعا بحجَّام فحَلَقَ جُمَّتَهُ ثم تَأَمَّلَهُ فقال له : أنت مَحْلُوفٌ أَحْسَنُ فقال : وأيُّ ذنب لي في ذلك ؟ فقال : صدقت الذنبُ لي أَنُ تركتُكَ في دار الهجرة ثم أركبتهُ جملاً وسَيَّرَهُ إلى البَصْرَةِ وكتب إلى مُجَاشع ابن مسعود السُّلَمي : إني قد سَيَّرتُ المتمنَّى نصرَ بن حَجَّاج السُّلَمي إلى البصرة فاستَلَبَ نساءُ المدينة لفظةَ عمر فضرَبْنَ بها المثل وقلن " أَصَبُّ من التمنية " فسارت مثلاً .

قال حمزة : وزعم النسابون أن التمنية كانت الفريضة بنت هَمَّام أم الحجاج بن يوسف وكانت حين عَشِقتْ نصرًا تحت المَغِيرَةِ بن شُعْبَةَ واحتجوا في ذلك بحديث رَوَاهُ زعموا أن الحجاج حضرَ مجلسَ عبد الملك يوماً وعُروَةَ بن الزبير عنده يحدثه ويقول : قال أبو بكر كذا وسمعت أبا بكر يقول كذا يعني أخاه عَيْدَ الله بن الزبير فقال له الحجاج : أعند أمير المؤمنين تَكْذِبُ أَخاك المنافق ؟ لا أم لك فقال له عروة : يا ابن التمنية ألي تقول هذا ؟ لا أم لك وأنا ابن عجائز الجَنَّةِ صَفِيَّةٌ وخَدِيجَةٌ وأسماءٌ وعائشة رضي الله عنهن .

وكما قالوا بالمدينة " أصب من التمنية " قالوا بالبصرة " أدَنَفُ من المتمنَّى " وذلك أن نصر بن حجاج لما وردَ البصرة أخذ الناسُ يسألون عنه ويقولون : أين هذا المتمني الذي سَيَّرَهُ عمر رضي الله عنه ؟ فغلب هذا الاسم عليه بالبصرة كما غلب ذلك الاسم على عشيقته بالمدينة .

ومن حديث هذا المثل أن نصرًا لما ورد البصرة أنزله مُجَاشع بن مسعود السُّلَمي منزله

من أجل فَرَّ ابته وأَخْدَمَ امْرَأَتَهُ شُمَيْلَةَ وكانت أجملَ امرأة بالبصرة فعلقته
وعَلَّقَها وخفي على كل واحدٍ منهما خبرُ الآخر لِمَلازمة مُجَاشِعَ لِصَيْفِهِ وكان مجاشع [ص
416] أمياً ونَمُرَ وشُمَيْلَةُ كَاتِبِينَ فَعَیِّلَ صَبْرُ نَصْرٍ فَكُتِبَ عَلَى الْأَرْضِ بِحَضْرَةِ مُجَاشِعَ : إِنِّي
قَدْ أَحْبَبْتُكَ حَباً لَوْ كَانَ فَوْقَكَ لِأَطْلَسَ لَوْ كَانَ تَحْتَكَ لِأَقْلَسَ فَوْقَ عَتِّ تَحْتَهُ غَيْرُ
مُحْتَشِمَةٍ : وَأَنَا فَقَالَ لَهَا مُجَاشِعَ : مَا الَّذِي كَتَبَ بِهِ ؟ فَقَالَتْ : كُتِبَ كَمْ تَحْلُبُ نَاقَتَكُمْ ؟ فَقَالَ
: وَمَا الَّذِي كُتِبَ تَحْتَهُ ؟ فَقَالَتْ : كُتِبَ وَأَنَا فَقَالَ مُجَاشِعَ : كَمْ تَحْلُبُ نَاقَتَكُمْ وَأَنَا مَا هَذَا
لِهَذَا بِطَبَقٍ فَقَالَتْ : أَصَدَقُ إِنَّهُ كُتِبَ كَمْ تَغْلُ أَرْضَكُمْ ؟ فَقَالَ مُجَاشِعَ : كَمْ تَغْلُ أَرْضَكُمْ وَأَنَا مَا
بَيْنَ كَلَامِهِ وَجَوَابِكَ قَرَابَةٌ ثُمَّ كَفَفَ عَلَى الْكِتَابَةِ جَفْنَةً وَدَعَا بَغْلَامَ مِنَ الْكُتَّابِ فَقَرَأَ عَلَيْهِ
فَالْتَفَتَ إِلَى نَمُرَ فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ عَمٍّ مَا سَيَّرَكَ عَمْرٌ مِنْ خَيْرٍ فَقَمِ فَإِنَّ وراءَكَ
أَوْسَعَ فَنهَضَ مُسْتَحْيِياً وَعَدَلَ إِلَى مَنْزِلِ بَعْضِ السَّلاَمِينَ وَوَقَعَ لَجْنِهِ فَضَضَى مِنْ حُبِّ
شُمَيْلَةَ وَدَنَفَ حَتَّى صَارَ رَحْمَةً وَانْتَشَرَ خَبْرُهُ فَضَرَبَ نِسَاءُ الْبَصْرَةِ بِهِ الْمِثْلَ فَقُلْنَ "
أَدْنَفُ مِنَ الْمَتَمَذِّى " ثُمَّ إِنَّ مُجَاشِعاً وَقَفَ عَلَى خَبْرِ عِلَّةِ نَصْرِ بْنِ حِجَاجٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَحَقَتْهُ
رَقَّةٌ لَمَّا رَأَى بِهِ مِنَ الدَّنَفِ فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ وَقَالَ لِشُمَيْلَةَ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا أَخَذْتَ
خُبْرَةَ فَلَا يَكْتُمُهَا بِسْمَنْ ثُمَّ بَادَرَتْ بِهَا إِلَى نَصْرِ فَبَادَتْ بِهَا إِلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ بِهِ نَهْوُضَ
فَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا وَجَعَلَتْ تَلْقِمُهُ بِيَدِهَا فَعَادَتْ قُورَاهُ وَبَرَأَ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ قَلَابَةٌ (
القلبة - بالتحريك - الداء والعيب أيضا) .
فَقَالَ بَعْضُ عُوَّادِهِ : قَاتِلِ اللَّهَ الْأَعْمَى فَكَأَنَّهُ شَهِدَ مِنْهُمَا النُّجُوى حَيْثُ قَالَ : .
لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى صَدْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُنْزَقْ إِلَى قَابِرٍ .
فَلَمَّا فَارَقَتْهُ عَاوِدُ النَّكْسِ فَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ فِي عِلَّتِهِ حَتَّى مَاتَ فِيهَا